والجلاء لا الغموض والغرابة .

لذلك أصبحت فى معاجم لغتنا ألفاظ كثيرة ليس لها قيمة إلا أنها أثرية تحفظ فيها كما تحفظ التحف فى دار الآثار .

والضرب الثانى : ألفاظ تخلق خلقا ، تلك الألفاظ التى تساير المدنية الحديثة بكل ما اخترعت من أدوات وصناعات ، وما ابتكرت من فن وعلم ومعانى وآراء . واللغة العربية اليوم ، قاصرة كل القصور فى هذا الباب . فليس لدينا ألفاظ لكثير مما اخترع وابتكر ، وهذه مشكلة المشاكل اليوم وقبل اليوم تجادل العالم العربى فيها طويلا ولما يستقر على حال

وكان لقصور الألفاظ أثر كبير فى ضعف الأدب . فكيف يستطيع الأديب أن يصف حجرة وكل مافيها من أثاث ليس له ألفاظ تدل عليه ؟ وكيف يستطيع الكاتب أن يؤلف رواية ، وهو فى كل خطوة يعثر بمسميات لا أسماء لها ؟ ولذلك يهرب كثير من الأدباء من التعبير الخاص الى التعبير العام ، فاذا أراد أن يصف رجلا يلبس طربوشاً قال إنه يلبس عمارة أو قلنسوة ، والحقيقة أنه لا يلبس عمارة ولا قلنسوة ، وإنما يلبس طربوشا ، واذا أراد أن يقول إنه يضرب على البيانو قال إنه عزف على آلة موسيقية ، وهذا منتهى الفقر فى التعبير .

كل هذا حقن الأفكار فى أدمغة الأدباء ، وسبب ضعف الوصف والرواية وغيرهما فى الأدب العربى الحديث ، وجعل الأدباء يفرون الى الموضوعات الانسانية العامة ، والأفكار الميتافيزيقية ، فان نحن شئنا أن يكون الادب ظلا لحياتنا ، وحياتنا الآن ، وجب أن نحل مشكلة الألفاظ حتى يطلق الأدباء من أغلالهم ، وإلا ظلوا يدورون حول أنفسهم ، وظل أدبهم غذاء ناقصا للامة ليس فيه كل العناصر التى لابد منها للحياة .

وهناك تجديد فى مناحى أخرى غير الألفاظ نعرض لها فى مقالات تالية إن شاء الله ؟

الثور فى مستودع الخزف

للدكتور محمد عوض محمد

جعل الثور يطوف فى نواحى المدينة ، ويجول فى طرقاتها فى ساعة غفل فيها الرعاة ، وغاب الحراس . فلم يزل يمشى على غير هُدًى ، حتى ساقه القدر المحتوم إلى مستودع الخزف :

فى دار صغيرة متعددة الحجرات . جمع أهل المدينة تراثهم الخالد — أو الذى حسبوه خالداً — من خزف قديم وحديث .

وصناعة الخزف أقدم صناعات الانسان جميعاً . بدأ يمارسها منذ آلاف السنين ، وهو بعد فى مثل سذاجة الأطفال . فكانت فى العصور الأولى شكولا ساذجة ، وصوراً بسيطة . يراد بها النفع والفائدة ، لا الزينة والحسن . فلا نقش فيها ولا تزويق ، ولا إتقان فى الصنع ولا إبداع . ثم لم تزل ترقى برقى الانسان ، وتمشى وإياه جنباً إلى جنب ، وتحاكيه فى تقدمه ورفعته ، حتى غدت فناً من أجل الفنون ، وصناعة من أشرف الصناعات . وأبدع فيها الخيال البشرى أيما إبداع ، فأصبح منها اليوم ما يعد تحفة القرون وفخار الفنون .

* * *

وهذه المدينة عريقة فى صناعة الخزف البديع ، قد نبغ فيها فى جميع العصور ، رهط من كبار رجال الفن ، فرفعوا فى العالم ذكرها . وحلقت شهرتها فى سماء الفنون . ولم يكن لها فى هذه الصناعة ضريب .

وفى هذه الدار الصغيرة ، قد أودع أهل المدينة خير ما أنتجته قرائح بنيها على مدى القرون ، لكى تكون معرضاً لهذه الصناعة ، يزورها الناس فى كل آونة ، فتنعم عيونهم بما فيها من جمال باهر ، وتنعم نفوسهم بما يبعثه الجمال فى النفس من سعادة وغبطة . فكان بابها مفتوحاً النهار كله ، يقصد اليها الناس على الرحب والسعة ، فى كل ساعة من الزمان .

* * *

وفى ساعة نامت فيها ملائكة السعد واليمن ، واستيقظت

أيالــة النحس والشؤم . ساقت المقادير العجيبة الغريبة . ذلك الثور العنيف الخيف . إلى هذه الدار — من دون الديار جميعاً !

ولم يلبث طويلا حتى حمته أرجله إلى داخل الدار . فأجال عينيه فيما حوله . فإذا أمامه آيات الفن . مصفوفة على المناضد والرّفاف : من أوانٍ قد ألبستها الحسن يدُ صانع ، وتعاونت على نقشها وتصويرها البراعة والخيال . . . هنا صورٌ تمثل الطبيعة بزهرها ونورها . وخضرتها ونضرتها . وأنهارها وعيونها ، ومدنها ودوحها . ومائها وسمائها . . . وهناك صورٌ تمثل الطبيعة كما يراها خيال العبقرى . لا كما يراها الناس . فيزيد في حسنها حسناً . وفي شكولها أشكالا وضروباً . . .

وها هنا صور للحياة . تذكرنا وصف أبي نواس للكؤوس . تمثل فيها الناس في جدهم ولعبهم . وفي سرورهم وكمدهم : وحين يركعون وحين يسرحون : وحين يدأبون وحين يمرحون . . ومن تماثيل ذات حسن عزيز : كأنما نصبت هنالك لتقيم المعاذير لمن عبَد الأوثان . وعبدَ الأصنام : منها القائم الناهض ، والجاثم الرابض . والمتكئ والمستلق . والساكن الهادئ . والثائر النافر . بعضها قد ألبس ثوباً أو بعض ثوب . وبعضها عارٍ إلا من الحسن . وكلها آيات في الابداع والابتكار .

فتباركت الأيدى القديرة . التى أحالت الطين والصلصال . إلى كل هذا الجمال والجلال ! .

***

رأى الثور هذا كله . وما برأسه إدراك للفن أو تقدير للحسن : وما في غريزته فهمٌ لهذا الجمال المتّسق المؤتلف . وهذه الصناعة الباهرة الساحرة . . .

كلا . . . بل في غريزته عنف وبطش ، وتحطيم وتدمير .

فأجال فيها جولة نظرة بهيم . ثم تراجع إلى الوراء قليلا . شاهراً قرنين حديدين كالفولاذ . واندفع نحو تلك التحف والطرف . وصال فيها وجال . . وهي — وا أسفاه ! — هشّةٌ ضعيفة . سهلة المكسر . لا حول لها أمام العنف ولا قوة .

فطاحت تلك الآيات إلى الثرى . وتناثرت قطعها الغالية في جوانب الدار !

وحانق الثور في التدمير الذى أحدثه . وكأنما راقه منظره . فأعاد الكرة ، المرة بعد المرة .

وما هى الا دقائق معدودة ، حتى لم يبق بالدار تمثال قائم ، ولا إناء منصوب : بل استحالت جميعاً إلى شظايا مبعثرة . وأجزاء متناثرة .

وقد اختلط بعضها ببعض . فما تميز العين جديدها من قديمها . ولا طارفها من تليدها : ولا آنية من تمثال . ولا رأساً من جسم . . . لقد صارت جميعاً أكداساً من الخزف المحطم . ليس فيها من الجمال أثر . ولا يرى فيها شاهد على براعة الصناعة .

في بضع دقائق استطاع هذا البهيم العنيف أن يقضى على تراث القرون . وثمار القرائح ، وخلاصة الفن : وأن يحيل هذه الدار . ولم يكن لها نظير في جمال التنسيق ، الى دار فوضى قد شاع فيها الخراب والدمار !

***

ولم يكن بالدار غير فتاة ترعاها . هالها أن رأت ذلك الثور المخيف ، وأحست بالشر : يوشك أن يحدق بالدار ومن بها . فغافلته وهو يلهو بالكسر وبالتحطيم : وانطلقت تنشد النجدة والمعونة . . .

وبعد لأيٍ أقبل الناس ، علّهم أن ينقذوا البقية الباقية . فلم يجدوا بقية باقية . . .

وهل شفى الغليل أن قُتل الثور ومُزّق كل مُمزّق؟

إن دماء ثيرة الأرض جميعاً لا تعادل آية واحدة من آيات الفنون !

ويلُ الورى من عنيفٍ أحمقٍ خَرِفٍ .
كأنه الثورُ في مستودع الخزفِ .
رأى جمالا وفنّا ليس يفهمه
وهاله ما رأى من مُبْدَعِ الطُّرَفِ
فلم يزل مُزْجِفاً قرنيه . مندفعاً
يجرى ، فيكسر ما ألفى من التحف
كأن في صدره حقداً وموجدة
لكل شيء بديع الصنع مؤتلف .
وكيف يدرك (ثور) أنّ ذي تُحَفٌ
للحفظ والصون . لا للمحو والتلف ؟